مقارنة الشخصية العراقية في محافظة واسط بالشخصية الفرنسية في باريس

د.محسن علي الدلفي
كلية التربية – جامعة المثنى

المقدمة

يتحقق التطور على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات نتيجة عاملين أساسيين لا ثالث لهما وهما :

١ . عامل ذاتي يعتمد على خبرات وإبداعات أبناء المجتمع وهذا وحده لن يحقق التطور إطلاقاً بل يبقي المجتمع في عزلة عما يدور وعما يحدث في العالم ومن ثم يجعلنا نبدأ مسيرة التطور من الصفر .

٢ . أما العامل الثاني فهو الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين ، وضمن الآخرين يقع آباؤنا وأجدادنا ، وهذا العامل مهم جداً وهو أساس كل النهضات الحضارية قديماً وحديثاً : أقرأ تاريخ اليابان وتاريخ الصين وتاريخ كوريا الجنوبية وتاريخ الأمة العربية في عصر إزدهارها وتطورها.والعراق يمر في ظروف قاسية ويتعرض إلى تحديات مصيرية فلابد لنا من الاستفادة من تجارب الأمم المتطورة والتي مرت بتحديات كتلك التي يمر بها شعبنا ووطننا. يجب أن لا نبرر ما موجود من سلبيات بل أن نملك روح التحدي وروح السمو وخاصة في الميدان الجامعي إلى مستوى هذه التحديات والى نقل تجارب وخبرات الأمم المتطورة .ولأنني عشت طويلاً في باريس دارساً وباحثاً ومتتبعاً لكل أوجه الحياة التربوية والإدارية والاجتماعية فأردت في هذا البحث أن أبين بعض مستلزمات التطور الحضاري بغية الاستفادة منها في تحقيق نهضة حضارية في وطننا كما بينت ما موجود من سلبيات في هذا المجتمع على الصعيد العائلي والإنساني بغية تجنبها وفي الوقت نفسه شخصت السلبيات

التي تصاحب بعض القيم الإنسانية مثل التحية ومراسم الزواج والوفاة في مجتمعنا آملاً تهذيبها وتلافي ما يرافقها من إهدار في الوقت وفي المال سائلين الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما يحقق تطورنا وعزنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مشكلة البحث:لاحظ الباحث من خلال معايشته لكلا المجتمعين العراقي والفرنسي ، وجود سلبيات وإيجابيات كبيرة في شخصية المواطن العراقي في محافظة واسط وكذلك في شخصية المواطن الفرنسي في باريس.

فسلبيات الشخصية العراقية في واسط تتجلى في موقفها من العمل ،القوانين والمعاملات التجارية وهذه لها أثر كبير في تخلفنا الحضاري بينما لاحظ وجود إيجابيات في هذه الشخصية لها دور في بناء العلاقات الإنسانية مثل التحية ، علاقات الناس مع المتقدمين في السن و العادات في مراسم الزواج والوفاة .

يعتقد الباحث أن خصائص الشخصية الواسطية تستحق الدراسة والمقارنة بغية الاستفادة من مميزات الشخصية الفرنسية في باريس والتي لها دور كبير في بناء الحضارة الإنسانية الراهنة وتهذيب الخصائص الإنسانية لدى الشخصية الواسطية بغية تحقيق نهضة حضارية مع العمل على بناء علاقات اجتماعية تحقق للمواطن حالات التماسك الاجتماعي والاستقرار النفسي اللذان تفتقدهما الشخصية الفرنسية في باريس.

أهمية البحث : يعيش العالم في سباق حضاري ، ولكي نتمكن من تحقيق نهضة حضارية تتناسب والتحديات التي تروم تفتيت وطننا وطمس هويتنا العربية والإسلامية لابد من الاستفادة من خصائص الشخصية في المجتمعات المتطورة وتهذيب خصائص المواطن في مجتمعنا .

ـ سيؤكد الباحث على مجموعتين من الخصائص : تلك التي لها دور مهم في التطور الحضاري مثل احترام القوانين ،العمل والمعاملات التجارية ،وتلك التي لها دور في بناء العلاقات الإنسانية مثل التحية ، علاقات الناس مع المتقدمين في السن ، العادات في مراسيم الوفاة والزواج .

أهمية البحث : وتتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية :

١ . يعد هذا البحث على حد علم الباحث الأول من نوعه لمقارنة الشخصية العراقية في واسط مع الشخصية الفرنسية في باريس .

٢ . يأمل الباحث أن يكون هذا البحث ممهداً لبحوث لاحقة في هذا المجال .

٣ . غاية هذا البحث ، تسليط الضوء على بعض جوانب الشخصية في باريس ، ومقارنتها ببعض خصائص الشخصية في واسط بهدف بناء شخصية عراقية تتماشى والتحديات الحضارية الراهنة متجنبةً سلبيات الحضارة الغربية .

هدف البحث : تحديد خصائص الشخصية في واسط التي تمكننا من تحقيق نهضة تتماشى والتطور الحضاري الذي تعيشه دول العالم المتقدمة .

حدود البحث :خصائص الشخصية العراقية في محافظة واسط (العامل الموظف الطالب المرأة والرجل) ومقارنتها بالشخصية الفرنسية في باريس .

أداة البحث : . تعتمد الدراسات في علم النفس الاجتماعي على طريقتين أساسيتين هما الملاحظة والتجربة وقد اعتمد الباحث في بحثه هذا على الملاحظة والتي يعني بها المراقبة المقصودة لرصد ما يحدث وتسجيله (البهي السيد ١٩٨٠ ص٦٦-٦٨).

مصطلحات البحث :

الشخصية : ترجمة لكلمة Personnalitéفي الفرنسية (ولا يسمى الشخص شخصاً إلا جسم له شخوص وارتفاع (اسكندروأخرون١٩٦١- من الشخصية وقياسها)الشخصية هي الصورة المنظمة لسلوك فرد ما يشعر بتميزه عن الغير ، ولا يصح تعريف الشخصية بأنها مجرد مجموعة من الصفات لأنها مجموعة تشمل في الآن نفسه ما يجمعها وهو الذات الشاعرة ، وكل صفة مهما كانت تعبر إلى حد ما عن الشخصية بأكملها ، ومن أهم الدراسات في تعريف الشخصية ما قام به البورت (١٩٦١)من التحقق في أصل هذه الكلمة وقد توصل إلى (٥٠) تعريفاً أو معنى للشخصية واستطاع تجميعها في ثلاث مجموعات رئيسية من التعريفات:

(مراد ١٩٥٧ص ٣٤٣. ٣٤٥)

١ . تعريف الشخصية في ضوء المظهر (التعريفات المظهرية).

٢ . تعريف الشخصية من حيث الجوهر (التعريفات الجوهرية)

٣ . تعريف الشخصية من حيث التوافق الاجتماعي (١٩٦١, Allport).

ويعرف الدكتور إسماعيل الشخصية: بأنها ذلك المفهوم الذي يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية والإدراكية المعقدة التنظيم التي تميزه عن غيره من الناس وبخاصة في المواقف الاجتماعية) ومن مميزات هذا التعريف :

١ . أن الشخصية مفهوم وبهذا أبعد الاتجاهات الخرافية في النظر إلى الشخصية.

٢ . يمكن قياس الشخصية بالأساليب السلوكية والإدراكية التي ترتبط ببعضها .

٣ . ما يهمنا من أنماط الشخصية ما يتصل بالمواقف الاجتماعية .(إسماعيل وآخرون ، ١٩٥٩)

واسط : سميت واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة (اليعقوبي ١٩٨٢ : ص ٣٢٢)وكان وراء الشروع ببنائها سنة (٨١) والإنتهاء منه سنة (٨٣) أسباب إدارية وسياسية وعسكرية وغيرها (المعاضيدي :١٩٧٦ص ٨٣ . ١١٠) وهي مدينة تميزت بخصوبة أراضيها وكثرة أشجارها ونخيلها وزرعها وقراها معمورة متصلة مع بعضها(الاصطخري ،١٩٢٧ ،ص ٥٨) .

وقد نمت وازدهرت بسرعة لتضافر عوامل سياسية وإدارية واقتصادية وعلمية دفعت إلى التطور فضلاً عن تميزها بمناخٍ يجلب السرور والغبطة لوجود تفرعات لنهر دجلة شطرت أرضها الى شطرين مما جعل هواءها لطيفاً (الحموي)

ووصفها الرحالة ابن بطوطة الذي سكنها وخالط علماءها بقوله ((حسنة الأقطار ، كثيرة البساتين والأشجار) (ابن بطوطة ١٤٠٥ هج ص ٢٠٤)) هذا الموقع المتميز أنعكس إيجاباً على تطور الحركة الفكرية والتربوية وهذا ما أكد عليه ابن خلدون في مقدمته عندما ربط بين العمران البشري وتطور العلوم والمعارف (ابن خلدون ،١٩٨٤ ص ٣٠٢ . ٣١١).

باريس: عاصمة فرنسا، تقع على نهر السين بالقرب من مركز حوض باريس ، أكثر منخفضات فرنسا إنتاجاًوتبايناً، والنهر صالح للملاحة في جميع أوقات السنة.

تحمي باريس (جزيرة فرنسا) من الشرق والجنوب الشرقي سلسلة من المرتفعات ،والحياة الفرنسية لا ترتبط بالعاصمة سياسياً واجتماعيا فحسب بل وطبيعياً وإقتصادياً أيضاً . باريس نقطة تلاقي نظام المواصلات ومركز الصناعة والصيرفة والتجارة ، وغزو باريس من قبل جيش أجنبي يشل الحياة القومية .

وقد أنشئت باريس أولاً على جزيرتين في نهر السين حيث يسهل الدفاع عنها ، ومن ثم توسعت المدينة . وباريس أكثر من مجرد مركز سياسي وإقتصادي فهي في الواقع مجمل الحياة القومية ، وقلّما تتمتع بها عاصمة في الأقطار الأخرى بالمكانة التي تتمتع بها باريس(جيز وآخرون، ١٩٦٤،ص١٣٥ . ١٣٦)

جوانب الشخصية المراد مقارنتها :

أولاً . الجوانب العملية :١. احترام القوانين .٢ . احترام العمل .

٣. المعاملات التجارية.

ثانياً . الجوانب لإنسانية :١. التحية . ٢. علاقات الناس مع المتقدمين في السن ٣. مراسم الزواج والوفاة .

ما هي الشخصية : عرفت نظريات الشخصية ، على ما يغلب عليها من سلوك ، وضمن مفهوم السلوك يدخل التفكير والعواطف التي تميز شخصية عن أخرى . (Michel.١٩٨٦ pp١٢٥ _١٢٦)

مكونات الشخصية : للشخصية ثلاث قوى لكل منها مكوناتها وخصائصها ، وهذه القوى في تفاعل مستمر منذ لحظة التكوين حتى الوفاة ، ولا يمكن فصل تأثير أحدها عن الأخر لذلك فسلوك الإنسان هو نتاج عمل هذه القوى وهي:

١ . الهو أو اللبيدو Libido – Id: يمثل الانفعال اللاواعي، الغرائز الحيوية المختلفة ، فهو طاقة غير واعية(Ajuriaguerra. ١٩٨٢ pp١٧-١٩٠)

وفي هذا الميدان يكمن مبدأ اللذة والمتعة pricipe de plaisir

وهذا المبدأ يسعى إلى إشباع الرغبات الغريزية دون الأخذ بنظر الاعتبار المعايير والقيم الخلقية ودون مراعاة حاجات الآخرين (الدلفي ٢٠٠١ ص٧٩)

٢ـ الأنا أو الذات le moi - Ego:تبدأ بالظهور خلال العام الأول تعمل على الموازنة بين مطالب الغرائز ومطالب المجتمع .

٣ـ الأنا الأعلى أو الضمير Le surmoi- SuperEgo :وهو الممثل للقيم والمعايير الخلقية والاجتماعية ، خلال عمليات الثواب والعقاب ، فهو الجانب اللاشعوري الذي ينزع إلى الكمال (الدلفي ص ٧٩)

ماذا يكمن في شخصية كل منا ؟

عند تحليل شخصية أي إنسان يمكننا أن نجد في ثناياها مايأتي :

أب ، وطفل ، وراشد ، وبكلامٍ أخر أن كلاً منا تتقاذفه نزعات ثلاث هي :

١ . نزعة الأب بما يمثله من نواهي ومحرمات وأوامر ، والتي انتقلت ألينا أثناء فترة طفولتنا ، وظلت تتحكم في سلوكنا طيلة حياتنا (الضمير) .

٢ . نزعات طفولية ، وتجسدها رغباتنا وعواطفنا العفوية والتي كثيراً مانجد أنفسنا منساقين وإياها وأسارى لبعضها ، حتى في مراحل العمر المتأخرة .

٣ . نزعات الإنسان الناضج ، الذي يعقلن ويمنطق الأحداث والذي ينزع إلى التجربة والممارسة العملية ، والذي يميل إلى اتخاذ القرارات المبنية على معطيات العلم والمنطق .(La Gachet- ١٩٥٨ pp ١٢٠ -١٢١) ونزعات الإنسان الناضج هي التي تمنحنا الشعور بالحرية والسعادة وان درجة تحررنا ترتبط بمدى سيادة هذه النزعات في أفكارنا وتصوراتنا وأحكامنا أما نزعات الأب ونزعات الطفولة ، فهي نزعات استعبادية نمارسها دون إرادتنا ودون وعينا

نظريات الشخصيةTheories of personality (١)

(الدلفي ،٢٠٠١ ص١٤٠.٧٣)

بعض العلماء ربط الشخصية بالنشاط الذي يقوم به الإنسان وبعضهم حددها بما تنطوي عليه من سمات كأن نقول شخصية خجولة وشخصية منعزلة وشخصية قاسية

،فنظريات الشخصية عرفت الشخصية على ما يغلب عليها من سلوك ، وضمن مفهوم السلوك يدخل التفكير والعواطف التي تميز شخصية عن أخرى .

- تهتم نظريات الشخصية بتحليل المتغيرات الداخلية مثل التفكير والعواطف وكذلك الأفعال الخارجية المرئية .

تبذل نظريات الشخصية جهوداً كبيرة من أجل وصف الأسلوب الذي يتبعه الأفراد في تطوير سلوكهم من أجل معرفة ما يمكن أن يقوم به الإنسان من استجابات إزاء مطالب الحياة المختلفة وفي ما يلي عرض موجز للنظريات الحديثة التي تناولت دراسة الشخصية والتي تعد المرجع الأساسي لدراسة الإنسان في مختلف جامعات العالم المتطور وهي :

أولاً : نظريات علم النفس الديناميكي Théories psycho dynamiques

توجد عدة نظريات في مجال علم النفس الديناميكي تجمعها نقاط مشتركة ، وكل من هذه النظريات يؤكد على أن أهم خصائص الشخصية هو النضال الديناميكي فالغرائز الجنسية والغرائز العدوانية والنزعة إلى السمو والتفوق كلها تدخل في صراع مع القوانين والأنظمة والمعايير الاجتماعي.

وعبر عمليات التنشئة تصبح القوانين والقيم جزءاً من ذواتنا(الضمير) ، وأخيراً ينتقل هذا الصراع إلى كياننا الداخلي ، أي بين ذواتنا والضمير فينعكس هذا الصراع على سلوكنا ، وفيما يأتي أهم نظريات علم النفس الديناميكي.

١. النظرية الجنسية لفرويد : واهم مفاهيمها : اللبيدو ، الأنا ،الأنا الأعلى ، الشعور واللاشعور ،الكبت والوسائل الدفاعية وعقدة أوديب .

٢ . نظرية ويونج وأهم مفاهيمها : اللاشعور الجمعي inconscit collectif héréditaire، والمثل .

٣ نظرية آدلر وأهم مفاهيمها عقدة الشعوربالنقص complexed'inferiorité

٤. نظرية كارني هورني وقد أكدت على العلاقة بين الآباء والأبناء في بناء الشخصية .

٥. نظرية إريك أريكسون : أكد على أهمية العلاقات الاجتماعية في بناء الشخصية .

ثانياَ. نظريات السمات Théorie des traits

مفهوم السمة من المفاهيم الشائعة بين عامة الناس ، وإذا أردت أن تصف نفسك أمام مجموعة من الناس فإنك بالتأكيد ستلجأ إلى وصف سماتك ، ونحن في وصفنا الآخرين أيضاَ ننحى هذا المنحى وهو وصف سماتهم .

السمات : عناصر أو خصائص تميز شخصية الإنسان .

منذ القديم أستعمل الناس بعض السمات بغية وصف الأفراد ، فعندما نقول أن زيداَ خجول وأن عمراَ جريء ، فنحن نصدر عليهما حكماَ كنا قد استوحيناه من انطباعاتنا الشخصية بالاعتماد على مفاهيم تولدت لدينا عبر خبرات معينة إلا أن ثراء اللغة أدى إلى أتساع مفهوم السمات إلى درجة (أن أحد علماء النفس أستطاع أن يجمع ١٧٩٥٣ كلمة في اللغة الإنكليزية تستعمل في وصف الشخصية(١٩٨٣، Sillamy) .

ومن الأمور التي نفترضها في السمات ، الاستمرارية وارتباطها بالسلوك في مواقف مختلفة .ومن أهم زعماء نظرية السمات كوردن آلبورت وكاتيل

١ .كوردن آلبورت)١٩٣٧(Gordon Alport

وضع قائمةَ تضم أكثر من ١٨٠٠٠سمةَ إنسانية ، بعد أن قام ببحث مطول .

: GATTELL _ 2R .كاتيل أستعمل أساليب إحصائية بغية تَقليص عدد السمات التي كان قد ذكرها .

ثالثاً . نظريات التدريب الاجتماعيا Théories de l’apprentissage social

وهي ثمرة لعمليات التدريب المتطور التي قام بها آلبورت وآخرين،وأتفق علماء التدريب الاجتماعي مع السلوكيين في التأكيد على أن دراسة الطبيعة الإنسانية يجب أن تنحصر في التجارب وفي السلوك الظاهري (RATHUS) ، (١٩٨٨

رابعاَ . نظريات الظواهر (الفينومنولوجيا [phénoménologiques

في هذا المجال سنركز على دراسة وعي الذات لكارل روجرز وعلى علم نفس تطوير الشخصية لكلي .

إن الذي يلاحظ أن هاتين النظريتين تجمعهما نقاط مشتركة إذ أن كلاً منهما يفترض أن التجارب الشخصية التي يمر بها الناس إزاء الأحداث المختلفة هي التي تميز شخصياتهم ، وأن الجنس البشري هو المخلوق الوحيد الذي يتمكن من إدراك العالم بأساليب وطرق خاصة به دون غيره من المخلوقات الأخرى.

وعي الذات لكارل روجرز [concept de soi:يقول روجرز : إن تجربتي في العلاج النفسي مكنتني من إدراك الحقيقة ومن إدراك أهمية الاختيار في حياة الإنسان ، وأعتقد أنني لست خيالياً إذا قلت أن الإنسان ، وضمن حدود معينة ، هو المهندس لذاته ، وهو الذي يتحكم في بناء شخصيته (Rogers; ٤٦; p١١٩).

الذات : هي مركز التجارب وحالات الانفعال الدائمة ، والذات هي التي تدفعنا إلى معرفة من نحن ؟ كيف ، ولماذا نتعامل مع المحيط ؟ .

ومن المؤكد أن اختياراتنا تنطلق من قيمنا وهذه الأخيرة تمثل جزءً من ذواتنا .

التوافق النفسي ومثل الذات [الأناIdeal de soi]

عند ما نقبل مشاعرنا وأفكارنا ونعتبرها جزء منا وعندما لا نجد فيها مؤاخذة أو شذوذاً فإننا عند ذلك سنشعر بالنزاهة والكمال .

في الواقع يوجد أتفاق بين قبولنا لذواتنا وبين سلوكنا إذ أن موقف الإنسان من ذاته من حيث القبول أو الرفض ينعكس على سلوكه العام .

دور الفعل في فهم الشخصية لجورج كيلي [Kelly]

يرى كيلي أن مهمة علماء النفس هي الحصول على معلومات محددة عن سلوك الناس بغية التنبؤ عما سيقومون به في مواقف معينة (١ vol et ٢ ; KELLY]ويعتقد أن الظاهرة الأساسية التي يجب استخلاصها من الناس هي

الفعـل الذي يستخدمونه جميعاً لأن معرفة أفعال الناس في مواقف معينة هي التي تمكننا من التنبؤ بدقة عن النتائج المتوقعة لكل حادث يتعرض له الناس .

أبعاد الشخصية

تصَّور علم النفس الديناميكي أن الدوافع المختلفة وحالات الصراع الداخلي هي التي تحرك شخصية الإنسان .أما علماء نفس السمات فذهبوا إلى أن شخصية كل إنسان محكومة بسمات موروثة ، وأن هذه السمات هي التي تحدد مواقفها المختلفة .في حين ذهب علماء التدريب الاجتماعي إلى أن بناء الشخصية يتحقق نتيجة لعملية التفاعل بين السلوك وأساليب التدريب التي يخضع لها الإنسان . ، الفينومنولوجيا وبالمقابل فإن علماء الظواهر ذهبوا إلى أن وعي الإنسان بالتجارب الشخصية هو الذي يحدد أساس الشخصية.

أما كيلي فذهب إلى أن الأفراد يطورون تجاربهم على وفق أبعاد الشخصية ، ومن أبعاد الشخصية ، البعد النفسي الذي يمكننا من تصنيف الآخرين ومن الأبعاد التي استحوذت على اهتمام يونج البعد الانبساطي والبعد الانطوائي ومن الأبعاد التي يكثر الحديث عنها بعد القوة والضعف لدى الرجال مقارنةً بالنساء .

يرى فرويد أن الأفراد مدفوعون بغرائز أولية ، أما السلوكيون فيذهبون إلى أن الحوافز التي تحرك سلوك الناس تكمن في المتغيرات البيئية ، وقد حاول كيلي في استخدامه لأبعاد الشخصية أن يتمكن من توقع الأحداث ومن إمكانية توجيهها بالاعتماد على دراسته أبعاد الشخصية .

المجالات التي تمت ملاحظتها

ـ حضر الباحث مناسبات كثيرة ومتنوعة في حالتي الوفاة والزواج في فرنسا وفي العراق ومن بيئات مختلفة ومن مستويات اجتماعية متنوعة

. وزار الباحث مستشفيات مختلفة في كلا المدينتين .

. واطلع الباحث على واقع العملية التعليمية في باريس وواسط.

. وتجول الباحث في العديد من الأسواق الشعبية والمخازن التجارية في باريس وواسط وركز الباحث ملاحظاته على ما يلي :

١. ملاحظة المعلم في تعامله مع الطلاب .

٢ . عدالة المعلم في التعامل مع المتعلمين .

٣ . موقف الموظف من المراجعين .

٤ . الفساد الإداري والوظيفي .

٥ . مدى احترام ساعات العمل الوظيفي .

٦ . مدى احترام العامل لساعات العمل .

٧ . كيفية عرض السلع التجارية .

٨ . الغش التجاري .

٩ . التبذير في مناسبات الفرح والحزن .

١٠. إهدار الوقت في أقامت مراسم الزواج والوفاة .

١١ـ التماسك الاجتماعي في حالات الفرح والمرض والوفاة والذي يتجلى في كثرة عدد المشاركين .

خلاصة البحث

أولاً. الخصائص التي لها دور في التطور الحضاري :

١ . الموقف من القوانين : إن الذي يلاحظ أن الطفل الفرنسي ومنذ الصغر يربى على احترام القوانين أما في محافظة واسط فعلى العكس ولكي أكون واضحاً لابد من تقديم الأمثلة الواقعية :

ـ إشارات المرور : فقد لاحظت مثلاً أن المواطن في مدينة باريس يلتزم بإشارات المرور التزاما كبيراً ولا أدعي عدم وجود مخالفات إلا أنها نادرة جداً فالسائق يتوقف

عند الإشارة الحمراء حتى وإن كان وحده لا يوجد من يراقبه . كما لاحظت حالات كثيرة تقوم الأم بضرب ابنها عندما يحاول عبور الشارع مع وجود الضوء الأحمر ، ولا يمكن لصاحب السيارة أن يقف في الأماكن التي يمنع الوقوف فيها ، بينما لاحظت في واسط أن الناس يصرون على الوقوف في الأماكن التي يمنع الوقوف فيها وحال صاحب السيارة مع شرطي المرور : أبو فلان ، إبن العم : عشر دقائق وسأعود حالاً ويبقي سيارته أكثر من نصف ساعة في المكان الممنوع فيه الوقوف وشرطي المرور يرجوه التحرك من المكان ويبقى صاحب السيارة يماطل ويماطل وشرطي المرور يتوسل ويتوسل إليه.ويربط الجميع أحزمة الأمان قبل أن تنطلق السيارة في باريس أما في واسط فعندما حاولت أن أربط حزام الأمان أخذ أخي يلح علي بضرورة خلعه مدّعياً أن الناس سيضحكون علينا... وعندما رفضت ذلك توقف وألح على خلع حزام الأمان.وعندما أصدرت شرطة المرور في واسط قراراً بفرض عقوبات مالية على كل سائق لا يرتدي حزام الأمان أخذ السواق يربطون الأحزمة عندما يقبلون على الأماكن التي يتواجد فيها شرطة المرور ويخلعونها حال تجاوزهم تلك الأماكن مع التفوه ببعض العبارات السيئة ويعدون ذلك علامة من علامات الرجولة والشجاعة .

أملاك الآخرين :ولاحظت أن الأم في باريس تضرب ابنها بقسوة عندما يمد يده ويأخذ حاجة طفل أخر وتطلب منه أعادت الحاجة إلى صاحبها والاعتذار منه وهكذا ينشأ الطفل وهو يعرف ما له وما لغيره. أما في واسط فعندما يأخذ الطفل حاجة زميله بالقوة تضحك الأم ويمتلئ الأب سروراً ويرون في ذلك علامة من علامات البطولة فيقبلانه ويبقيان حاجة ذلك المسكين في يد ابنهما على الرغم من صراخه وتكون المشكلة أكثر قسوة عندما يكون الطفل المعتدي لأبوين متنفذين وظيفياً أو عشائرياً أو مالياً.

ـ التمايز في المعاملة : في باريس لا يحق للمعلم ولا للمدير أن يسجل ابنه في المدرسة التي يعمل فيها ، أما في واسط فالمعلم ، يسجل ابنه في المدرسة نفسها

التي يعمل فيها حتى وإن كانت هنالك مدارس أقرب إلى الابن ،وفي إحدى المدارس الابتدائية المختلطة كان أبن مديرة المدرسة يحظى بامتيازات غريبة ، فجميع العاملين من معلمات وفراشين يحترمونه ويعاملونه بالود والاحترام : لا عيني لا تعمل هذا ، وإذا أصر ابن المديرة على ذلك يغض الجميع نظرهم عنه ، وكان كثيراً ما يأتي إلى المدرسة وفي يده عصا بضرب الطلاب والطالبات بقسوة وبعض الطلاب يبكون ويتألمون وعندما يذهبون إلى المعلمة أو إلى المديرة فالجواب هو وباللهجة العامية : أسكت عيني هو مثل أخوك ، وواحدة تصيح بالمسكين أمام المديرة : وماذا صار هل متت ؟ وثالثة تمسك المضروب وتقوده إلى الخارج طالبةً منه الخروج والسكوت عن البكاء .وفي كل يوم يقوم ابن المديرة بمثل هذه الأفعال : حيث الاعتداء على الطلاب والطالبات بالضرب والكل يهربون أمامه وهو يطاردهم ولا يجدون من يمنعه أو يحاسبه ، بل العكس وهو تبرير تصرفات ابن المديرة وتوجيه اللوم إلى كل من يشتكي أو يبكي .وفي مدرسة أخرى تقوم معلمة الرياضيات بمسك عصا غليظة تضرب جميع الطالبات بدعوى الإهمال وعدم الفهم بينما لا تمد يدها إلى ابنة حماها التي هي أقل مستوى من زميلاتها وعندما استغربت هذا التصرف من هذه المعلمة باستخدامها أسلوب الضرب والتمييز بين الطالبات ، كان الجواب سيئاً وغير منطقي ، وعندما قلت لها سأخبر وزير التربية بمثل هذه التصرفات لكي يصدر أمراً بمنع الضرب أو التمييز بين الطلاب في المعاملة أو السماح بالمعلمين ومدراء المدارس بتسجيل أبناءهم معهم في المدارس نفسها التي يعملون فيها .. كان الجواب : عيني من يسمع ومن يطبق ؟ قلت لها سأقترح عليه فصل واحداً أو أثنين كعبرة للآخرين لاسيما وأن هنالك عشرات لآلاف ممن أنهوا الدراسة في معاهد المعلمين والمعلمات وممن يرغبون العمل ... فكان الجواب : عيني (منين الله جابك روح إلى فرنسا ،خل الناس عايشه) أي (من الذي جاء بك ، ارجع إلى فرنسا ودعنا نعيش على ما نحن عليه) إلى أخر ذلك من الأساليب اللا إنسانية والتي تتنافى وأبسط القيم التربوية ، ولولا أنني مقيد بصفحات البحث لأوردت عشرات من

النماذج السيئة في التعامل بين الناس والتي تقوم على الظلم الصارخ.وفي هذا اليوم٩-٣-٢٠٠٩قام شاب في الحي الذي أسكن فيه بإطلاق النارعلى شاب آخربنية القتل ومع أن القانون يجرم من يطلق النارمليون دينار والحبس لمن يطلق النار بنية القتل إلا أنه خرج من السجن بعد يومين لأنه يحمل لقب ؟؟؟

. إحترام القوانين في مراجعة المؤسسات وفي التبضع : في كل ذلك يقف الناس في باريس على شكل طوابير الواحد خلف الأخر ولا يحاول أي شخص أن يتجاوز من سبقه في الوقوف .. اللهم إلا في الحالات النادرة جداً وهي وجود امرأة تحمل طفلاً صغيراً وفي مكان شديدة البرودة أو وجود شخص معوق لا يتمكن من الوقوف فالواقفون هم الذين يدعونه إلى التقدم. وفي دوائر الدولة :كل مراجع يأخذ رقماً حال وصوله وينتظر وإذا حاول أحد الأشخاص المراجعة قبل أن يصل دوره يرفض الموظف استقباله وينظر الناس بعين الازدراء والاحتقار لكل من يحاول أن يستبق الدور المحدد له . وفي المستشفيات يستقبل المراجعون في باريس حسب الأسبقية ويرفض الطبيب مخالفة ذلك وسيجد الجميع إلى جانبه وفي واسط كان الطبيب يفحص امرأة فدخل عليه شاب طالباً فحصه وعندما قال له:أخرج إلى أن أتم فحص المرأة أنهال عليه بالضرب ولكنه خرج من السجن لأن العشيرة تدخلت في الأمر.وفي الجامعات يقف الطلاب في صفوف حسب الأقدمية في القدوم ولا يمكن لأي طالب مهما كانت مكانته أن يتجاوز الآخرين أو أن يعامل معاملة خاصة

وفي مراكز الشرطة يأتي المراجع ويأخذ دوره حسب الأسبقية وينادى على المراجعين حسب أدوارهم : وكثيراً ما لاحظت مسؤولين كباريقفون في الطابور ينتظرون أدوارهم خلف كناس أو عامل بناء أو متسول أو أحد الأفارقة .

وفي المدارس لا يمكن أن يميز المعلم بين المتعلمين فالكل يشاركون في جمع مبلغ لشراء بعض الهدايا عندما يحين يوم ميلاد أحد زملائهم، والمعلمة والطلاب يخصصون بضعة دقائق لهذه المناسبة فيأتي الطفل وهو يحمل هدية زملائه إلى البيت.

٢ . في العمل :شاهدت الكناسين في باريس يمارسون أعمال التنظيف طيلة ساعات العمل وبجدية منقطعة النظير والكناس يرتدي ملابساً خاصة ويدخل دورة تدريبية قبل ممارسة العمل لذلك تجد الساحات والشوارع في غاية النظافة .

أما في واسط فعدد الكناسين أكثر من عددهم في باريس بحساب الرقعة الجغرافية ويتقاضون رواتباً أكثر من رواتب زملائهم في باريس بحساب معدلات الرواتب في فرنسا والعراق ولكنني رأيت في واسط ما جعلني أشعر بالدهشة والاستغراب فكثيرا ما كنت أشاهد مجاميع من الكناسين يجلسون في ظل جدار يدخنون ويتبادلون النكات طيلة ساعات العمل ولا أجانب الحقيقة إذا قلت أن الكناس في واسط لا يعمل أكثر من ساعة واحدة فقط طيلة يوم العمل وعندما وقلت لمجموعة منهم : لماذا لا تعملون ؟ ألا تجدون في هذا الجلوس عن العمل شكل من أشكال السرقة وما يحرمه الدين ... وقبل أن أنهي الكلام صاح الجميع في وجهي : اذهب : جاي (أتيت) تعلمنا الحلال والحرام والسرقة والأمانة والإخلاص في العمل ... خفت على نفسي واعتذرت منهم لكي أتجنب مما لا تحمد عقباه ، فكانوا إذا رأوني من بعيد يقولون : هذا الذي يتحدث عن العمل والأمانة والإخلاص في العمل ..

أما إذا ذهبت إلى دوائر الدولة فكأنك ذاهب إلى مقهى في أكثر الأحياء الشعبية تخلفاً وانحطاطا : فالناس يتدافعون ويطلقون الأصوات العالية والموظف يأخذ معاملة هذا ويترك معاملة ذاك الذي كان ينتظر قبله بساعات ، وكلمات الاستعطاف تنهال على الموظف : أبوفلان ، أم فلان الله يرحم أباك ... فلان يسلم عليك .. وجواب الموظف أو الموظفة : أهلاً عيني وهو كيف حاله ، قالوا لنا أن زوجته تعبانه كيف حالها عيني سلم لنا عليه وتظل الموظفة أو الموظف دقائق في تبادل التحية والاستفسار ، كان بإمكانه أن ينجز خلالها معاملات ومعاملات .. ثم تشاهد مراجعاً يهمس في إذن الموظفة : اليوم سأرسل لك كارت لتلفونك ...ثم تلاحظ في غالبية دوائر الدولة وجود تلفزيونات وكأنك في مقهى من مقاهي العالم الثالث أما تناول الشاي واللفات

خلال العمل فهي شائعة .. ويطلب من المراجعين الإنتظار حتى ينتهي الموظف أو الموظفة من تناول الطعام والشاي (اللفة).

أما في باريس فلا يحق للموظف تناول أي شئ اللهم إلا الماء خلال ساعات العمل وكل الكلام يدور حول موضوع المراجع ولا يجوز الكلام عن مواضيع خارج إطار المراجعة ويعامل المراجعون بالتساوي وعلى حسب الأقدمية في المراجعة .

٣ . المعاملات التجارية : إذا أردت أن تعرف أخلاق مجتمع من المجتمعات فاذهب إلى أسواقه ومنها يمكنك أن تحكم عليهم :في باريس تجد السعر مكتوباً على كل بضاعة ، سواء في المخازن الكبيرة أو في الأسواق الشعبية ، دون صراخ ودون أيمان غليظة ودون أخذ ورد وإذا كان في البضاعة عيب فالبائع يخبرك عنه وبإمكانك أعادت البضاعة أو استبدالها خلال شهر من شرائها في بعض المخازن .

أما في واسط فالبضائع تعرض بشكل فوضوي لا يدل على ذوق والبائع يقسم لك عشرات الأيمان على أنه لم يربح في بضاعته شيئاً أو أنه يذكر لك ربحاً تافهاً ولكنه يفاجئك بعد قليل بخفض السعر ثانيةً وثالثةً .أما الصراخ الذي يصم الآذان فحدث عنه دون حرج فعلى الرغم من كتابة السعر على البضاعة ترى البائع يصرخ بأعلى صوته وبعضهم يضع مكبرات صوت .. وإذا كتب عليك أن تذهب كل يوم للتسوق فاعلم أنك ستصاب بالصمم ولكي تحافظ على نعمة السمع عليك أن تضع كثيراً من القطن في أذنيك في الأسواق وفي سفرك بالسيارات العامة لأن هؤلاء سيسمعونك تسجيلات وبأصوات عالية جداً وإذا طلبت خفض الصوت ستسمع ما يجعلك تقرأ ألف دعاء ودعاء للمَحافظة على نفسك حتى نهاية الطريق.

وفي ساحة العامل في واسط تجد ثلاثة محلات متجاورة كل منها قد وضع مكبرتين تصل أصواتها بضعة كيلومترات وأن من يعمل بالقرب من هذه المحلات أو الذي يضطر يومياً بالمرور أمامها لابد وأن يصاب بالصمم ... لذلك تلاحظ أن غالبية الناس في واسط وعندما تتكلم مع أحدهم بصوت طبيعي يضع يده على أذنه ويمد

رقبته نحوك : ها ا ا ماذا تقول؟ وتعيد الكلام ويعيد السؤال : الله يرحم والديك تكلم بصوت عالٍ ، لا أسمع جيداً (طبعاً بلهجته الشعبية) .

ثانياً . على مستوى المعاملات الإنسانية وتتضمن :١. التحية.٢. مشاركة الناس في الزواج والوفاة .٣. موقف الناس من المتقدمين في السن:

بدءاً أن أهل واسط متفوقون على أهل باريس في هذه الجوانب إلا أن ذلك غارق في التطرف وفيه مغالاة لن تصمد على البقاء مع التطور الحضاري .

مغالاة تعكس روح التطرف البدوي ولولا أنني مقيد بصفحاتالبحث لسودت كتاباً وفي مايلي عرض موجز:

١. التحية :في واسط : أ. التحية في الأسواق:يبذل الناس السلام لكل من يلتقون به بغض النظر عن معرفتهم به وأخي الذي تجولت معه في أسواق المدينة كان يحيي غالبية من يمر بهم طيلة الطريق رافعاً يده : السلام عليكم ، كيف حالكم ؟كيف الأولاد؟...الخ (يتم ذلك باللهجة العامية) وهو يطرح سيل من التساؤلات دون أن يسمع الجواب.

ب . التحية في المناسبات : أنت مضطر إلى الوقوف طيلة وجودك في المناسبة لكل قادم : تصافحه وتعانقه : ثلاث قبلات على الخد أو على الكتف أو قبلتين على جهة اليسار وثالثة على اليمين وأحياناً يطول الوقوف للاستفسار عن أمور كثيرة : عن الصحة والعمل والأولاد والأقارب عن مجريات الحياة التجارية وعن مشكلات العشيرة ... الخ أما في باريس فأقصى ما يقوله المتعارفون أو عند القدوم على قوم فهو: صباح أو مساء الخير ولا توجد مثل هذه التحية بين الغرباء ونادراً جداً ما يبذل الباريسي هذه الكلمة عندما يصعد السيارات العامة أو القطار .

ومع العاملين في دوائر الدولة فالمرأة تقبل الرجل والرجل يقبلها في الخد وكذلك في ما بين النساء بينما تحدث المصافحة بين الرجال فقط.٢ . في مناسبات الزواج والوفاة : في باريس تقوم سيارة خاصة بنقل المتوفى إلى مثواه الأخير ويسير خلف السيارة بضعة أشخاص ويتم ذلك بعد تهيئة حفرة القبر وبعض الورود التي سيلقيها المشيعون

على قبره بعد الانتهاء من الدفن ثم يعود الجميع إلى بيوتهم ويتم ذلك خارج أوقات الدوام وفي العطل ، وغالباً ما يحضر مراسم الدفن عدد قليل جداً ، فعندما توفى جاري الفرنسي : شيعناه أنا وزوجتي وولداه وإبنته مع زوجة المتوفى وجارة لنا وجار ثالث ولم يحضر غيرنا وكنا نسير خلف سيارة البلدية إلى المقبرة التي لم تكن تبعد أكثر من بضعة مئات من الأمتار، وغالباً ما يتم إعداد الجنازة بالقرب من المقبرة لكي لا يستغرق الأمر جهوداً كبيرة ولا وقتاً طويلاً وبعد الانتهاء من دفن المتوفى رمينا بعض الأوراد على قبره ثم عدنا إلى بيوتنا ولم تعمل عائلة المتوفى شيئاً بل أن أولادها عادوا إلى بيوتهم وتركوا الوالدة مع أبنها المتزوج وهذا غادرها بعد يومين .أما في واسط فمهما كانت مكانة المتوفى : يؤجل تشييع الجنازة ويبلّغ كل أفراد العشيرة والمعارف وتحضر الجموع الغفيرة ويشيع المتوفّى مشياً على الأقدام مسافات طويلة وتلقى خلال عملية التشيع القصائد التي تشيد بشجاعة وكرم ومكانة المتوفى وقد حضرت تشييع جنازة أحد معارفي الذي كان يبيع بعض الخضراوات في سوق الخضر من السابعة صباحاً حتى الثامنة مساء في عربة خشبية فكان عدد المشيعين بضعة مئات من عشيرة المتوفى ومن معارفهم فشيعناه بضعة مئات من الأمتار مشياً على الأقدام محمولاً على الأكتاف في يوم ظالم الحرارة وكان قد حضر التشييع ثلاثة شعراء أشادوا بكرم وشجاعة وشهامة المتوفى وكثيراً ما كان التشييع سبباً لتوقف حركة المرور والسابلة ، ثم وضع تابوت المتوفى على ظهر سيارة فتقدمت وتبعها رهط يضم بضعة عشرات من السيارات واستمر إلى قرب مدخل مدينة الكوت من جهة بغداد ، وفي اليوم نفسه نصبت الخيام وأخذ الناس يتوافدون حيث كان صوت المسجل الذي يذيع آيات من القرآن الكريم بواسطة مكبرات الصوت وكان يقف في باب الخيمة الكبيرة مجموعة من الأشخاص المقربين من المتوفى : (إخوانة ، أبناؤه ، بعض المقربين) يستقبلون القادمين ، وكل قادم يصافح هؤلاء بحرارة مع التقبيل والدعاء للمتوفى : أن يلهمهم الله الصبر والسلوان وأن يسكن المتوفى فسيح الجنان ، ثم يمر على جميع الحاضرين يصافح بعضهم فقط ، والمصافحة والتقبيل والأسئلة

المتعلقة بالصحة والأهل والأولاد وعن مجريات بعض الأمور ، مع البعض الأخر ، ومن المؤكد أنك لن تستطيع البقاء جالساً بضعة دقائق لأنك مضطر إلى القيام عند قدوم كل قادم ، وبعد الإنهاء من المصافحة والتقبيل يطلب القادم من الجميع قراءة سورة الفاتحة على روح المتوفى وبعد الانتهاء من قراءة الفاتحة يحيه الجالسون ب (صبحكم الله بالخير صباحاً قبل تناول وجبة الغداء (الظهر) ومساكم الله بالخير بعد صلاة الظهر وبعد ذلك يقدم الشاي والقهوة والسكائر، وإذا أردت الذهاب عليك أن تعيد قراءة الفاتحة وهو أن تقول : رحم الله من أعاد قراءة سورة الفاتحة وعندها تنهض وتسلم على المقربين من المتوفى ثم تمر على شخص يمسك دفتراً ويجلس قريباً من باب المضيف فتقدم له مبلغاً من المال يسجله باسمك وقبل أن تهمَّ بالخروج يلح عليك المقربون من المتوفى بالبقاء لتناول الطعام الذي يهيأ بكميات كبيرة في ثلاث وجبات يتضمن صباحاً : البيض والقيمر والحليب والشاي والخبز ، أما في وجبتي الظهر والعشاء فيقدم الرز واللحم والخبز وأحياناً الخضر وكثيراً ما يتم إعداد كميات كبيرة من الطعام الذي يرمى في براميل القمامة ويتفاخر الناس في كثرة ما يقدمونه من طعام ، وإذا لم يف المال الذي قدمه المعزون بتكاليف الفاتحة فعندها توزع الخسارة على المقربين من المتوفى ويستمر ذلك لمدة ثلاثة أيام وهنالك من يتمادى في البذل خلال أيام الفاتحة إلى ما يفوق التبذير لكي يقال عنه كريم وابن كريم(لأنه من أموال الآخرين).

٣ . الموقف من الكبار : في فرنسا تتكلف الدولة بمختلف الضمانات للإنسان منذ لحظة التكوين حتى الوفاة فلم يعد كبار السن بحاجة إلى رعاية الأبناء والأحفاد لذلك أصبحت العلاقة واهية بينهما ثم أنهم ينتمون إلى جمعيات تقيم لهم الحفلات والسفرات وإذا أصبح الكبير هرماً فالدولة توفر له خادمة تقوم بكل مايلزمه.

أما في محافظة واسط فالإنسان يلقن بألف طريقة وطريقة على أهمية وقدسية بر الوالدين واحترام الأكبر سناً ويورد الناس في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص والحكم وأبيات الشعر الكثير والتي تجعل الإنسان يشعر وبصورةٍ

لاشعورية بالإثم والعقوق وتوقع النبذ الاجتماعي والكوارث التي ستحل به آجلاً أم عاجلاً ومن ثم سينتظره عذاب الآخرة إن هو تهاون في خدمة والديه وحمايتهما. الآباء والأجداد في واسط هم الذين يسعون نحو توثيق العلاقة مع الأبناء والأحفاد والدوافع اقتصادية وخدمية فعندما تكفل المجتمع الفرنسي باحتياجات المسنين المادية والصحية والخدمية لم يعد هؤلاء راغبون في الأبناء لذلك تجد العزوف عن إنجاب الأطفال في فرنسا على الرغم من الامتيازات التي تحصل عليها الأمهات. واليوم وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة في واسط شاهدت طفلاً في العاشرة من عمره يتقدم والده فيجلب له الحذاء ثم يضعه في رجليه ثم يقدم له العصا ويمشي إلى جنبه بكل تواضع وتذلل. ولو لم أكن ملزماً بعدد صفحات البحث لأوردت الكثير من الاختلافات التي تحتاج إلى كتاب سأتولى إعداده لاحقاً إن شاء الله .

المصادر

. ابن بطوطة ، أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله بن محمد اللواتي (١٤٠٥هـ)(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) تح علي منتصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هج

٤. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٤) المقدمة ط٥ ، دار القلم ، بيروت

ـ اسكندر (الدكتور) نجيب ، الدكتور لويس مليكة ، الدكتور رشدي فام (الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي) مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١ـ من الشخصية وقياسها .

ـ إسماعيل (الدكتور) محمد عماد الدين ، الدكتور عطية محمود هنا (الشخصية وقياسها) مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٩

- جيز . هـ . ويلز (الإبن) . جي . ترنتون كوستبيد . ريتشارد . تومان . ترجمة الدكتور محمد حامد الطائي والدكتور صديق الأتروشي (جغرافية العالم الإقليمية . أوربا والإتحاد السوفيتي) ج١ منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٤

. (الحموي ، د . ت . ج٥

. الدلفي (الدكتور) محسن على (تطور شخصية الإنسان والتعامل مع الناس) دار الفرقان عمان الأردن ٢٠٠١

. السيد (دكتور) فؤاد البهي (علم النفس الاجتماعي) دار الفكر العربي ط٢ مكان الطبع غير مذكور ١٩٨٠

. الاصطخري ، إبراهيم بن محمد (١٩٢٧) (مسالك الممالك) طبعة ليدن ١٩٢٧

. الدكتور يوسف مراد (مبادئ علم النفس العام) ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٥٧

-Allport.G.W(١٩٦١)Patterns and Growthin personality) New York Holt

-J-de Ajuriaguerra et Marchelli (Psychologie) Masson paris ١٩٨٢ pp١٧-١٩٠

- KELLY [The psychology of personal constructs [vol ١ et ٢ - New york. w. w/ Nort

−La Gachet Daniel (La psychanalyse et la structure de la personnalité(vol٦ PUF - paris ١٩٥٨ pp ١٢٠ -١٢١

-Michel (Introduction to personality)٤eme – New York – Holt Rinehart and winston١٩٨٦

-Norbert Sillamy (Dictionnaire usuel de psychologie (Bordas Paris ١٩٨٣

- RATHUS - S - A [١٩٨٨[[Understanding child developpement [New york Rinhart and winston

-Rogers Carl [In retrospect ٤٦ years[American psychologist